إلى جَميع أصدقائِي على مَواقِع السّوشَل ميديا.. وكلِّ من يُتابعُ مَسيرَتي الأدَبيَّة.

الطّبعة الرَقميَّة الأولى، كانون الثاني ٢٠١٨

.

الانتقامُ هو المساحَة الوَحيدَة
التي لا يُمكنُ التَّنبـُّؤُ فيها بمَدى خَيال الإنسان.

أحمد الفخراني

جَـزَاءُ كلِّ قريـْبٍ مِـنكمُ مَـلَـلٌ
وحَـظ كـلِّ مُـحِـبٍّ مِنكمُ ضَـغَـنُ

المُتنبّي

الطُّمُوْح.. ذلكَ الكابوس!

وليسَ كابوساً فحَسْب.. بل هو فُصَاميَّةٌ تَوْأمٌ تستَعبِدُ المَرْءَ وتسوقُهُ أنَّى عَيَّنَتْ لها بوصلَةُ الأهواء.

ما هو الطُّموح وما هيَ مُحَرِّكاتُهُ الدَّافِعَة؟

أهو نزوَةٌ أنانيَّة..؟ أو هبَةٌ منَ الخالق للإنسَان.. غايتُها دَفعُ عَجَلَةِ الحَياةِ البَشَريَّةِ إلى الأمام؟ أمِ الاثنانِ معاً؟! قد يكونُ الطّمُوحُ دينامو التّاريخ.. أو قَدَّاحَتَهُ! فلولا الطّموحُ لما كانَ الابداع، ولولا الابداعُ لما كانَ الذَّوْقُ، ولولا الذَّوْقُ لما كانتِ الحاجَة، ولولا الحاجة لما كانَ العِلم. ويُخطئُ من يَظُنُّ أنَّ الحَاجَةَ هي أمُّ الاختِرَاع.. لأنَّ الدَّافعَ الجَوهريَّ وَرَاءَ كلِّ مُخترَعاتِ ومُبتكرَاتِ البَشَر هو هذه النَّارُ المُضطرمَة فوقَ مَذبَحِ الذَّات، وتُريدُ أن تُسقِطَ نفسَها في مُنتَجٍ يكونُ قُبلةَ العُيُون وإشارَاتِ البَنان. وأمّا قضيَّةُ تلبيَةِ الحاجَات، أو وَظيفةُ هذا المُنتَج، إن هيَ إلاّ ظِلٌّ.. أو مُجَرَّد توَهُّجاتٍ لهذه الذّاتِ المُشتعِلَة في الدَّاخل.

ولأنَّ الطُّموحَ نارٌ دائِمَةُ الاشتعال.. فهو أداةٌ خَطِرَة! تماماً كالنَّار التي بها نَستدفِئُ أو بها نُحرقُ المَدائِنَ والقُرَى. فهو في أحيانٍ كثيرَة شَيطانٌ في عَبَاءَةٍ بَيضاء! طموحٌ عِلميّ.. طموحٌ ثقافيّ.. طموح سياسيّ.. طموح أدبيّ.. طموح اقتِصاديّ.. هذه وغيرُها قد تكونُ تَشَوُّفاتٍ مَشرُوعةً مُفيدَة.. إلاَّ انَّها، وهذا غالباً ما يحدُث، تشظِّياتٌ مؤذيَة بل مُدَمِّرَة! فيما لو أسقَطَتْ من حساباتِها فائِدَةَ وبُنيَانِ الآخرين.

والطّموح نوعٌ منَ الانفعالاتِ والرَّغبات مُلتبِسَة مُشوَّشَة.. ربَّما لأنَّها سَريعَةُ الاندِماجِ والذَّوَبانِ في مفاهيمَ ونوازعَ أخرى عندَ الانسان.. كالطّمَعِ مثلاً.. والحَسَدِ وشَهوةِ السُّلطَة وشَهوةِ التَّجميع وشَهوَةِ التَّحقيق وشَهوَةِ الانجازاتِ التّاريخيَّةِ الكُبْرى. كم من عالِمٍ أضَرَّ أكثرَ ممّا نفَع! وكم من سياسِيٍّ هدَمَ أكثرَ ممّا بَنَى! وكم من اقتِصَادِيٍّ جَشِعٍ حَصَدَ أمجادَهُ بمَناجِلِ الضُّعَفاء، وصَعدَ إلى قُبَّةِ ثَرائِهِ على دَرَجاتِ سُلَّمِ العامَّةِ البُسَطاء!

ويَرَى الكثيرون أنَّ الحَياةَ بلا طموح لا قيمَةَ لها. وهذا منطِقٌ إنسانيٌّ صادِق، لأنَّ قيمَةَ الحياةِ العَظيمَةِ في طموحاتِها العَظيمَة.. فيما لو خرَجَ الطّموحُ من سِجنِ الذَاتيَّةِ إلى حُريَّةِ الخَيرِ العامّ. وغالباً ما يكونُ شاعريّاً مثاليّاً في سَنواتِ المُراهقة.. والتَحَدِّي الكبير أمامَه أن يَستمرَّ هكذا! فما إن تحُطُّ بهِ أرياشُ مِثاليَّتِهِ على تضاريسِ الواقعيَّةِ المُخيفة، ليَكتشِفَ أنَّ الواقِعَ مَحكومٌ بمُعادَلاتِ المادِّيَةِ والاستِغلاليَّةِ والانتِهازيَّة والمَحسُوبيَّة والبازاريَّة والتَذاؤُبيَّة، فيَبْدَأ، مُكرَهاً، في التَدَرُّبِ على الشَّريعَةِ الواقِعيَّةِ لتَحقيقِ إنجازٍ ما.. أو فإنَّهُ سيَبقى مُحلِّقاً في فَضَاءٍ طوباويَّةٍ خَياليَّة لا قيمَة عمليَّة لها.

*****

غيث الرّاسي (٤ آذار ١٩٦٧ – ١٩ تشرين الأوّل ٢٠١٥).

المَصدرُ الأساسيّ للمعلومات الواردَة في هذا الفصل وما يليه.. هو بعضُ أصدقاء وأقارب السيِّد غيث الرّاسي الاقتصاديِّ الكبير، مالكِ ومؤسِّس العَديد منَ الشّركاتِ العقاريَّةِ والتِّجاريَّة.

تزامَنَتْ طفولةُ غيث الرَّاسي معَ اندلاعِ الحَربِ الأهليَّةِ في لبنان. وقد أحدَثَتْ مشاهدُها القاسيَة كَدَماتٍ وَعَطباً في أجنِحَةِ الطفولةِ الزَّاغبَة، تماماً كما هي حالُ الطّفولةِ أثناءَ الحُرُوب في كلِّ مكان. فأسلِحَةُ الحُرُوبِ والصِّراعات، وهكذا دائِماً، تُعَرِّي

الشُّعوبَ من قِيَمِها، وتُمَزِّقُ ثوبَ النَّقاوَةِ الأولى. فالأمَّةُ بعدَ الحَرْبِ غيرُها قبلَ الحَرب. وَالحَرْبُ هي البيئَةُ الصَّالحَة لانبعاثِ شَياطينِ النَّزَعاتِ القذرَة في الإنسان: الغَدرِ والسَّرقة والإباحيَّةِ والإرهابِ وعُشق الدِّماء والمافيَويَّة.. وتُصبحُ الأمانةُ والشَّهامَة والرُّجُولة والوَفاء والصِّدقُ والشَّرَف مُفرداتٍ عَتيقةً لا تنتمي لروحِ العَصر. فلكلِّ عَصرٍ مصطلحاتُه، ومُصطلحاتُ السِّلم والبَحْبوحَةِ ليسَت هي ذاتَها التي تستخدَمُ أثناء الصِّراعاتِ الدَّاميَةِ المُزمِنَة. وباختِصار.. جيلُ سَبعينيَّاتِ القرنِ الماضي في لبنان هو جيلُ الزَّعرَناتِ وانهيار القيَمِ والمبادِئ وانفلاتِ الوَحشِ داخِل الإنسَان.. او انَّ الحَربَ هي التي مسَخَتِ الإنسانَ إلى وَحش.. واحِدَة منهُما. والطّفولةُ هيَ نواةُ الإنسان.. هيَ اللِّبْنَةُ الأولى.. هي فِرْدَوْسُهُ! فإذا كانَ الفِرْدَوسُ جَحيماً فالجَحيمُ كَمْ يَكون؟! وبعدَ الحَرب، حتماً، لن يعودَ الإنسانُ كما كانَ قبلَها.. فالحربُ مَسَحَتْ بل "فَرْمَتَتْ" ماضياً صَالِحاً بَريئاً.. وأدغمَتْ داتا جديدةً سَوداءَ بشِعَة في الضَّميرِ والقيَمِ والأهداف.

غيث يذكرُ جيِّداً الفُصولَ الأولى للمَعرَكة.

ويذكرُ عدَداً منَ المشاهدِ الوَحشيَّ منها والغريب طُبِعَتْ على قُرصِ خيالِهِ وعاطفتِه، وستُشكِّلُ قُطَباً مَخفيَّةً في نَسيجِ لا وَعيهِ وَشَخصيَّتِهِ العَتيدَة. ومعَ مرورِ الزَّمَن.. وفي ذِكرى ١٣ نيسان ١٩٧٥، أو إذا دارَ الحَديثُ عنِ البدايات، تَقفِزُ هذِه الصُّوَر من الـــ Recycle bin إلى الـــ Restoring وتصبحُ واقعاً كأنَّه البارحَة. في واحدَةٍ منها وكانتْ مفصلاً تاريخيّاً.. وكانَ ابنَ ثماني سنوات.. كانَ واقفاً على رُؤُوسِ أصابعِ رجليهِ في ذلِكَ اليَومِ الماطرِ من بدايةِ شَهرِ آذار ١٩٧٦ بجانِبِ أمِّهِ وأبيهِ عندَ النَّافذَة. أنفُهُ مُلتصِقٌ بالزُّجاج ولُهاثُهُ يرسُمُ هالتَهُ الضَّبابيَّة على زُجاجِ الشُّبّاك فيَمحوَهُ بأناملِهِ ليرى ما كانَ الثلاثةُ شاخصينَ إليه في الشّارع، في تلكَ المحلَّةِ التي كانتْ مُكتظَّةً وباتتِ الآنَ شبهَ مُقفِرَة. كانَ هناكَ نفَرٌ من المُسلَّحينَ المُدَجَّجين وَصَليلُ البَنادقِ وعِتادِهِم الحَربيِّ كأنَّه موسيقى عَسكريَّة. لم تكُنِ الوُجوهُ وُجوهَ بَشَر! غَضَبُ العيون مُتعطِّشٌ للدِّماء. وفجأةً! أنزِلَ رَجُلٌ متوَسِّطُ العُمر من صُندوقِ السَيَّارَةِ الخلفِيِّ مُقيَّد المِعصَمَين. وما إن رَبطوا ساقيه كلاًّ بسيَّارَة حتى أطلقَ صَرخةً مُدَوِّيَة! وصَدَّ الصَبيُّ غيث والدَتَه عندَما أرادَتْ أن تبعِدَه عنِ النَّافذَة إلى داخلِ البَيت. دَفعَتْ بهِ بقوَّةٍ إلى المَطبَخ في الجهةِ الثانية من

الشقَّة. ولكنَّهُ عاركَها وأفلتَ منها إلى غرفتِهِ المُحاذيَة للغرفةِ التي يقفُ فيها والدُه وأقفلَ الباب منَ الدّاخل بسُرعة.. ومن مكانِهِ قربَ نافذَةِ حُجْرَتِهِ سَمِعَ بوضوحٍ كامِل صُراخَ الرَّجُلِ وأنينَه ورآهُ أصبحَ قطعتين كلَّ قطعَة مُعلَّقة بسيَّارَة.. ورأى أحدَ حاملي السِّلاح يطلقُ رصاصةً واحدة في رأسِه، وانتهَى الأمر. وعندَما خرَجَ منَ الغرفَة ذُعرَت الوالدَة من شَجاعةِ ابنِها غير المُتوقَّعَة، بيدَ أنَّ ملامحَهُ كانتْ صَفراءَ شاحبَة، وكلماتُه طبيعيَّة جدّاً. قالت وَالدَةُ غيث لزَوْجِها:

– عَجيب أمرُ هذا الصَبيّ يا فارس.. وَحش بلا إحساس.

زَجَرَتهُ بقوَّةٍ وأنَّبَتْه.. وطلبَتْ أن يُعاقب. فقالَ لها زَوْجُها فارس:

– دَعيه يُصبِحْ رَجُلاً.. هذا الزَّمَن زَمَنُ الوُحوش.

إنَّ اهتمامَ الأهل الأوَّل أبّانَ الحَرب ليسَ تربيَة أولادِهم، بل كيفَ يبقونَ أحياء..! وماذا يَأكلون وماذا يَشربون وكيفَ ينامون! كانَ هذا المَشهَد اللّقطَةَ الأخيرَةَ من فيلم العُنفِ في بيروت دَفعَت بفارس الرَّاسِي والد غيث ومالك متجرٍ كبيرٍ للألبسَة والأحذية الرِّجَّالي أن يترُكَ شقَّتَهُ ومتجَرَه، وفي ليلةٍ ليلاء، وحيث الاشتباكاتُ الليليَّةُ والاقتِحاماتُ جَحيمٌ لا يُطاق، إلى مَدينةِ جونيه. على أن يَعودَ فيما بعد لإنقاذِ وأخذِ ما يُمكنُ أخذُه. لقد عجَنَتِ القسَاوَةُ شخصيَّةَ ذاكَ الجيل.. وآمنَ باكراً جدّاً بأنَّ القوَّة خيرٌ والصَّلاح ضعف، القوَّة تُطعمُ خبزاً والخيرُ لا يُجدي. عندَما يكونُ العَدُوُّ شرساً.. عليكَ أن تتمَرَّسَ في مهاراتِ الشَّراسة تحضيراً للمُواجَهَة، والتَّعبئَةُ آنذاك نفسيَّةٌ قبلَ أن تكونَ في العتادِ والسِّلاح. وكانَ هناكَ نفرٌ من أقرباءِ فارس الرَّاسي منخرطون في القتالِ على الجَبَهات. قالَ غيث لابنِ عمِّهِ المُقاتِل ذاتَ يوم، وكانَ يكبرُهُ بسَنَوات:

– لو كانَ طولُ البندقيَّةِ يَصِلُ لخَصري فقط.. لذَهبتُ معكم إلى المَعرَكة.

في جونيه كانَ الوالد فارس مُنهَمكاً في افتتاحِ مَتجَرٍ آخر للألبسَة الرِّجّالي، وفي كيفيَّةِ إنقاذِ ما تبَقَّى له من بضاعتِهِ في مَتجَرِهِ في بيروت، حيث السَّرقة في أسواق العاصمَة كانت موضَةَ تلكَ الأيَّام. ولم يَمضِ بَعدَها عامانِ حتى ابتاعَ لهُ شقَّةً جديدة في محلَّةٍ

مُشجرَةٍ مُشرفةٍ على أحياءِ المَدينة، واستَقرَّ بهِ الحال، ثمَّ شرَعَتْ سَنَواتُ الثَّمَانينات في مَدِّ أعناقِهنَّ ورؤوسِهنّ. والفتى غيث، وهو في مَهَبِّ عواصِفِ المُرَاهقة، فقد راحتْ براعمُ غريزتِهِ الجنسيَّة تتفتَّحُ. لم يكن لديهِ أخت، هو الأكبر وأخوه فؤاد يَصغرُهُ بثلاث سنوات. كان جَريئاً وَقِحاً هو وأخوه فؤاد.. والاثنان يُعابثان الفتاةَ الخادمَة التُّركيَّةَ الأصل والمُثيرَة روجين، والتي كانتْ تعيشُ معهم في شقَّتِهم الجَديدة في جونيه. فؤادُ يريدُ اللّعِبَ فقط.. وأمّا غيث.. فقد باتتْ أحلامُ غريزتِهِ، ومعَ سنواتِ النّضج، فراشاتٍ ملوَّنَة تحوِّمُ فوقَ زنبقةٍ وَحيدَة.. روجين! والوالِدان في البدايةِ لم يكترثا لهذا العبَثِ الذي ظنّاهُ صِبيانِيّاً بريئاً، في ظلِّ عدَم وجود أخت في الأسرَة. وروجين المُثيرَة هذه كانتْ ميَّالةً لغَيث! هو في الخامسَة عشر وهي في التاسعَة عشر. ومنذ مراهقتِهِ برزَت موهبَتُه الخَلاّقة في ملاطفةِ المَرأة. حُلوُ المُفرَدات ظريفُ التَّلميحاتِ التي تُرضي الأنوثة وتُشبعُها، والمَظهَرُ رُجوليٌّ جذّاب واعِد، وبالتالي فهو يملكُ أدواتِ المبارزة في ساحاتِ المَرأة. وأمّا في الدِّراسَة فلم يكن متفوِّقاً، بل كانَ دَبُّوراً يَطيرُ في كُرومِ الغِوايةِ ويحُطُّ فوقَ عناقيدِ الحُسْنِ والأنوثة.

كانت مقاربَةُ التابوات آنذاك خجولةً جدّاً بالمقارَنة مع اليَوْم، حيثُ انتَهَى مفهومُ التابو إلى غير رَجعَة، لا في المَرئيَّاتِ ولا السَّمَعيَّات ولا النَّدَوَات. الإعلامُ كانَ بدائيّاً بالنِّسبَةِ إلى الثّورةِ التكنولوجيَّة الرّاهنة، والتَحدُّثُ بأمورِ الجنس كان مُجَرَّدَ همَساتٍ ووَشوَشاتٍ بينَ الرِّفقَةِ في الدَّائِرَة الضيِّقة، وَظاهرَاتُ المِثليَّةِ والاغتِصَاب والتَحَرُّشاتِ والعُنفِ الجِنسيّ لمْ تكنْ بَعْدُ صَرخةً مُدوِّيَة وَمَدّاً عاتياً.. أقلَّه فوْقَ الطَّاولة. ثمَّ انتشرَتْ خَبَريَّةُ هذا الرَّجُلِ الغريبِ سُليمان الذي راحَ يتَحَرَّشُ بالفتياتِ المُراهقات.. وحتى القاصِرات مِنهُنّ. وكانَتِ النِّسَاءُ في المحلَّةِ وضواحيها يقُلنَ عنه أنَّهُ "أزعر.. بلا تهذيب.. بلا مَربى.. بلا أخلاق". ومفهوما المَرَضِ النَّفسِيّ والتّحَرُّش فكانا "إجتماعيّاً" في ظلمَةِ العَدَم آنذاك. كانَ سُليمان هذا يُطاردُ الفتيَاتِ بسيَّارَتِهِ، يُراقبُهنّ بعدَ خرُوجِهنّ منَ المَدرَسة، ويتَصيَّدُهنَّ وَحيداتٍ في زاويةٍ ما أو وَرَاءَ جدارٍ أو تَحْتَ شجَرَة. ولكنَّ واحدةً منَ الصَّبايا السِتَّةِ اللواتي قدَّمْنَ شهادَتَهُنَّ ومُواصفاتِ ملامِحِ الرَّجُل سُليمان، لم تعترفْ بأنَّهُ حاولَ إدخالَ القَضيب، أي فعلَ الاغتصاب، ورَفَضْنَ جميعُهنّ بقوَّةٍ رُؤية الطَّبيبَة. وحَلَّلَ

البَعضُ أنَّه الهلَعُ والصَّدمَةُ الارتِدَاديَّة. واحِدَة قالت أنَّه ناداها باسمِها وسألَها عن مكانِ سكَنِ المُختار نَجيب، وما إن فتَحَ بابَ سيَّارتِهِ وأراها عضوَهُ التَّناسُليّ، حتى صَرَخَتْ من فورِها وركَضَتْ مُسرعةً إلى دُكّانِ أبو مارون تلتقِطُ شتاتَ رُوْحِها المَذعورَة. واحِدَة قالت أنّه كانَ جالساً من ورائِها في الحافِلة ومَدَّ يدَهُ إلى ثديها. في المَرَّةِ الأولى أبعَدَتْ يدَهُ بعنفٍ ولم تتجاسَر أن تنظرَ خلفَها لشدَّةِ الخوف بسبَبِ كثرَةِ الشّائعات. وفي المَرَّةِ الثانية أرادَتْ أن تنهَضَ من مكانِها إلى الأمام.. فصرَخَ رَجُلٌ خمسينيٌّ من الخَلف بصَوتٍ عالٍ:

– أرفَعْ يدَكَ عنِ الفتاة يا أخو هيك وهيك وإلاّ...

فقامَ سُليمان، يُحاولُ أن يُخفيَ سَحنتَهَ، إلى بابِ الحافلةِ كأنَّه يُنتظرُ تمَهُّلَها للقفزِ منها. فوثبَ وَرَاءَهُ الرَّجُلُ الخَمسينيُّ، وحدَثَ تلاسُن وتدافع بينَهما، فأوقفَ السَّائِقُ عندئذٍ الحَافلة، وتدَخَّلَ بعضُ الرُكَّابِ للتَّهدئَة.. وكانت فرصَةُ سُليمان للقفزِ والفِرار.

وفي نهايةِ المطاف ألقيَ القبضُ على هذا الرَّجُل الغريب سُليمان وأشبعَ ضَرْباً مبرِّحاً. ولمْ يعرفوا أنَّ اسمَهُ سُليمان إلاّ بعدَ أن أوقفوه! وجاؤُوا بالفتاةِ المِسكينة لميس لكي تراهُ وتتَحقَّقَ من ملامِحِه. ولكنَّها لشدَّةِ الخوف لم تقدِرِ المِسكينة أن تدخُلَ إلى الرَّدْهَة، معَ وجودِ عدَدٍ منَ الرِّجال! حيثُ كانوا يؤدِّبونَهُ وهو جالسٌ على كرسِيٍّ خشبيٍّ مقيَّد المِعصمَين وراءَ ظهرِهِ. مدَّتْ رأسَها منَ الباب ورَأت منظرَهُ الشَّاحِبَ وقميصَهُ المُبلَّلَ منَ العَرَق وشَعرَهُ المُشَعَّثَ والدِّماءَ نازفةً من شَفَتِهِ وصُدْغِهِ. فتَراجَعَتْ تريدُ أن تهرُبَ وهي تقول لهم:

– هذا هو.. هذا هو!!

فأمسكوها ودفعوها إليه.. وقالوا لها:

– ابصُقي على وَجهِهِ واضربيه بحِذائِك.

فأذعَنَتْ لطلبِهِم وفعلَتْ هكذا، وكانتِ الفتاةُ ترتجفُ ارتجافَ وَرَقةِ الخريف. ثمَّ سلَّموا الرَّجُلَ سُليمان إلى السُّلطات، وانتَهتْ أسطورةُ الشَّبَح المُتَحَرِّش الذي أرعبَ عشَرَاتِ

الفتيات. بيدَ أنَّ مُغامرات سُليمان هذا كانت حَديثَ السَّاعةِ في المحلَّةِ وفي بَيت فارس الرَّاسِي أيضاً، فنبَّهَتْ الزَّوْجةُ الطيِّبَةُ خادمتَها روجين أن تكونَ حَذرَةً في رَوحاتِها وجيئاتِها، وهي لا تعلمُ أنَّ مُتَحَرِّشاً ظريفاً مَحبوباً سارحٌ بينَ ظهرانيهم. وما تناهى إلى سَمعِ غيث من سَقيطِ أخبارِ هذِهِ المُغامراتِ المَريضة، ألهَمَ مُخيِّلَتَه ليَخوضَ مُغامراتٍ مُماثلة.. ولكن بعيداً عن العُيونِ والآذان.

وذاتَ يوم، كانَ غيث وروجين لوَحدِهما في البَيْت. فدَخلَ إلى الحَمَّام وتعَرَّى يُريدُ أن يَتدَوَّشَ. ونادَى:

– روجين! ما هذا الذي أراهُ على الأرض هنا في الحَمّام؟!

وكانَ هذا كميناً خبيثاً لروجين.

فوَثَبَتْ روجين مِن فورِها إلى الحَمَّام لترى ما الأمر. فَرَأتْ غيث عارياً بالكامل.. وتعَمَّدَ أن يَنظرُ في عَينيها بعُمق ليَتحرَّى إسقاطات صورة جسَدِهِ العاري في ملامِحِها وانفِعالاتِها. وكانت رَدَّة فِعلِها الطَّبيعيَّة الأولى أن وَضَعَتْ يدَها على عَينَيها وشَهقَتْ، ومدَّت يدَها الثانية وأغلقت بابَ الحمَّام وهي تقول بصوتٍ عالٍ:

– ماذا فَعَلتَ يا مُحتال؟ عيب يا غيث.. عيب!

وفي مَهَبِّ المُراهقة يَظنُّ الشّاب أنَّ مشهَدَ الرُّجُولةِ العاريَة يُحَرِّكُ الغريزَةَ الجنسيَّةَ عندَ المرأة.. ثمَّ تمُرُّ سنواتٌ "طويلة" حتى يُدركَ أنَّ غريزَةَ المرأةَ ليستْ بالصُّورَةِ التي كانَ يَظُنّ، وإيقاظَ اللَّهيبِ المُتمَرِّد في أحشائِها يَحتاجُ لما هو أعمَق بكثير منَ العُري.. إنَّه يحتاجُ لهندَسَةٍ وفنّ! بيدَ أنّ سَعيَ غيث نحوَ روجين لم ينتهِ هكذا. فقد كرَّرَ الخطَّةَ عَينَها وبالسّيناريو نفسِه.. وامتَثَلَتْ روجين لندائِهِ أيضاً، غيرَ مَخدوعةٍ، كما لو كانتْ تنتظرُهُ بشَوقٍ في قلبِها. وكرَّرَتْ كلمَاتِها السَّابقة:

– عيب يا غيث.. عيب!

معَ تغييرٍ بسيطٍ هذه المرَّة، وهو أنَّها لم تضَعْ يدَها على عينَيها، وبَقيَتْ لثوانٍ تتأمَّلُ جَسَدَه قبلَ أن تُغلقَ بابَ الحَمَّام بهُدوء.. وفي عَينَيها بريقٌ خبيث، إن هو إلاَّ ضَوء

أخضَر لغيث أن يفعَلَ هذا أيضاً وأيضاً. فراحَتْ نظراتُهُ وتلميحاتُهُ ومُغازَلاتُهُ معَ الأيّامِ والشُّهور تنقُرُ كالمَاءِ على صَخرَةِ مناعَةِ روجين، ولا يَعملُها إلاّ إذا كانا وَحيدَين. وهنا والِدُ غيث مُنهمِكٌ بتجَارتِهِ، فخورٌ برُجولةِ ولدِهِ، والوالِدَة لم تدركْ بعدُ أنَّ طيشَ وَلدِها على قابِ قوسين أو أدنى منَ الدَّائِرَة الحَمراء. وكيف ستعلمُ إذا القاضي راضي؟! روجين سَعيدَة معهُم ولا تشكو من أيِّ مُضايقة، وهي أمينة مُطيعَة، وفوقَ هذا استطاعَت إخفاءَ مُغامرَتِها وراءَ أداءٍ مسرَحيٍّ متألِّق. روجين يَتيمَة "مقطوعة من الشَّجَرَة" كانتْ تعملُ في طفولتِها في مصنع للألبسَة في بيروت، وأفلسَ المَصنعُ وأقفِل، ثمَّ راحَتْ تدورُ على المنازل باحثةً عن عمَل.. فرمَاها حَظُّها في بيتِ فارس، وكانَ شافعَها لدى آل الرَّاسي ظرفُها ونشَاطُها. وهكذا مَرَّتِ الأيَّامُ والفُضوحيَّةُ الإيروتيكيَّة بينَ غيث وروجين تتكرَّرُ لمَرَّات.. حتى استيقظَ أخيراً شَيْطانُ الأنثى في داخلِها. وتجاسرَتْ ذاتَ مسَاءٍ، وكانَا وَحدَهما أيضاً في البَيت، أن تنصُبَ الكمينَ نفسَه الذي يَعملُه هو مَعَها. ونادَتْهُ وهي تستَعِدُّ لأخذِ الدُّوْش فوثبَ إلى الحمّام ورآها عاريةً..! وتأمّلَتْ عَينَيهِ الجاحِظتَين تجولانِ فوقَ أثيرِ جَسدِها النَّضِر، ثمَّ اقترَبَتْ من البابِ لتُغلقَهُ في وَجهِهِ فحاولَ أن يمنعَها أوّلاً.. ولكنَّه أذعَنَ لمَشيئَتِها عندما قاوَمَتْه وهي تقول:

– لا يا غيث! لا! لا! إذهبْ أرجوك.

من جهَةِ غيث غرورُ المُراهقة يمنعُهُ من رؤيةِ العاقِبَة الوَخيمَة التي يُمْكنُ أن يَجنيَها من تماديهِ في تهوُّرِهِ الأرعَن هذا. ومِنْ جِهَةِ روجين.. فهيَ حتماً خائفَة..! وهي تعلمُ أنّه منَ النّوعِ الدُّنجوانيّ الذي لا يثبتُ على علاقة، وبالتالي لا يصدقُ في علاقة.. وهي في حياتِهِ إن هي إلاّ موسِم عابر من مواسِمَ عتيدَةٍ لا زالت تنتظرُ مَجيءَ فصولِها. كانتِ البداية نزوَةً بسيطَة، وهي التي تعيشُ وَحدَةً مزمنةً في هذا العالم.. أنِسَتْ بهِ وارتاحَتْ لمَعشَرِهِ.. ووجَدَتْ بهِ واحةً منَ الحُرِّيَةِ المُمتِعَة تلهو بها أثناءَ نوباتِ الحَنين الفارغ. ثمَّ راحَتْ كُرَةُ الثَّلج تتدَحرَجُ وتكبُر معَ الأيَّام والشُّهور.. وسنواتُ المُراهقَة كالحُلُم! وباتَ الرَّجوعُ إلى الوراء شيئاً صَعباً.

ذاتَ يَوم دعا غيث روجين إلى مُشاهدةِ فيلم سينمائيٍّ وعشاءٍ بسيطٍ، على قدِّ عاشقَينِ مُراهقين، بعدَه في أحَدِ المطاعمِ بعيداً عن جونيه. ووَضعَ خطَّةً لهذا المَشروع.. بعدَ

مهَّدَ له بأشهُر بهدايا وبعض المال على سبيل المُساعدَة وورود وعطور.. وكلّ هذا في كواليس السِرِّيَّةِ التامّة. تماماً كالفتاةِ اللتي تستعدُّ للخروج "خَطيفة" معَ حَبيبِها. والمرأة بارعَة جدّاً في كتمانِ مشاعرِها. قالَ لها:

– قولي لوالدَتي أنَّكِ ستذهبين لسَهرَةِ عُرْسٍ عندَ صديقةٍ قديمة في الزَّلقا. وبأنّكِ ستذهبينَ بسيَّارة أجرَة وهم يُعيدونَكِ إلى البيت بسَيَّارَتِهم. ويكونُ لقاؤُنا عندَ مدخلِ السِّينما على الدَّوْرَه.

وقبلت روجين من فورها بالمشروع، وقالت له:

– شرط أن نشاهدَ فيلماً ونتناول العِشاء فقط!

فأجابَها وهو يحني رأسَه:

– سمعاً وطاعةً يا سُلطانة روجين.

وهكذا كان.

لبسَتْ روجين حلَّةً جذّابَة.. كأنَّها تواعدُ خطيبَها.. فهي لن تذهبَ إلى سَهرةِ العرس المَزعومَة كيفما كان! واستقلَّت سيّارَة الأجرَة إلى الدَّوْرَه. ثمَّ دخلَت إلى الرَّدْهَةِ الخارجيَّة منَ السِّينما، وقبَعَتْ واقفةً في رُكنٍ تتطلَّعُ ذاتَ اليَمينِ وذاتَ اليَسار، وتنظرُ في ساعةِ يدِها حوالي ربع ساعة. ثمَّ فجأةً! عَصبَتْ عَينَيها منَ الوَرَاء أناملُ قويَّة تفوحُ منها رائِحَةُ عطرٍ رُجوليٍّ لطيف. قالت من فورِها وهي تبتسم:

– غيث!

– ذكيَّة.. كيفَ عَرَفتِ؟ سألَها مُداعباً. ثمَّ أضاف:

– كنتُ هنا قبلَكِ. واختبأتُ لأراكِ تشتاقينَ إليَّ.

ثمَّ قطعَ غيث تذكرَتين لكليهما، ودخلا لمُشاهدَةِ فيلمٍ رومنسيٍّ كانَ قدِ اختارَه غيث خصيصاً لهذه المُناسَبَة. وهناكَ في وَسطِ الظُّلمَةِ لم يستطِع إلاّ أن يُطلِقَ العِنانَ لثعالبِ أناملِهِ تتسلَّلُ إلى حظائِرِ شَعرِها اللَّيلَكيّ الحَالك، وتدورُ سبّابتُهُ حولَ أطرافِ وَجهِها

وحافَّةِ أذُنِها.. ثمَّ تَنزلِقُ إلى رأسِ أنفِها لتسبَحَ فوقَ شَفَتَيها وذَقنِها الدَّقيق. عَضَّتْهُ بإصبَعِهِ وقالت له:

– توقَّفْ عنِ اللَّعِب.

وفي قلبِها تقولُ له: "تابِع سفركَ أيُّها السِّندباديُّ المُغامرُ الجَريْء".

ثمَّ انتهى الفيلم، وخَرَجا إلى مَطعمٍ قريب.. وتناولا سندويشات الشَاورما مع المشروبِ الغازيّ.. وثرثرا كثيراً.. وضَحِكا كثيراً.. ثمَّ استقلاّ سيّارة أجرَة وعادا إلى جونيه. أنزلَها تَحتَ الشَّجَرَة عندَ زاويةِ شارعٍ مُوازي لشارعِ بنايتِهم، فتابعَتْ هي إلى البيت، ومَضى هو ليتَسكَّعَ ما تبقَّى منَ السَّهرَةِ عندَ أصحابِه.

كانتْ مُداعباتُ غيث قدَّاحةً ناريَّةً أشعلَتْ جسَدَ روجين وجَعلتْ منه بركاناً. ولم يمضِ شَهرٌ منَ الزَّمانِ حتى كانا قد تطارَحا الغرام بالكامل.. في ليلةٍ مُقمِرَةٍ عَطِرَةٍ على سطحِ البناية. وهذه لن يستطيعا إخفاءَها بعدَ اليَوم! وعندَما لاحظَتْ والدَةُ غيث بعد أشهر قليلة أنَّ الفتاة تسمُنُ وتدوخُ وتَتقيَّأُ أدرَكتِ المُصيبَة!

– أنتِ حامل يا روجين؟!

شدَّتْها بشَعرِها وصرَختْ بها:

– من هو؟ قولي لي مَنْ هو؟!

فتَمتمَتِ المِسكينةُ بصوتٍ خافت:

– إنَّه غيث يا سيِّدَتي.

وهكذا كانتْ نهايةُ مَلهاةِ مأساةِ روجين في منزل فارس الرّاسي. غادَرَتْهُ ذاتَ صباحٍ إلى غيرِ رجعَة.. مَطرُودَةً باكيَة.. في أحشائِها جَنينٌ، وفي روحِها قهرٌ وضياع.